من سلسلة من كلام العارفين

للحاج الحبيب بن حامد حفظه الله

المذاكرة عدد 3

الخُصُوصِيَّةُ؟

الزاوية التجانية باب الخضراء تونس

تمهيد

بسم الله الحمد لله والصّلاة على رسول الله ﷺ

قال ﷺ: ((**لاَ بَأْسَ بِالحَدِيثِ قَدَّمْتَ فِيهِ أَوْ أَخَّرْتَ، إِذَا أَصَبْتَ مَعْنَاهُ**)) الجامع الصغير رقم 9706

وقال سيدي الحاج علي حرازم رضي الله عنه: "...وأرغب لمَن طالع مكتوبنا هذا أن يغضّ عنه عين الانتقاد ويسمح لنا ما يلقاه من التّصحيف والتّحريف والزّيادة والتّطفيف ويصلح ما وجد فيه من الخلل ويقابل جهلنا بالصّفح والإغضاء وحسن العمل فإنّا لسنا من أهل العلم ودرايته ولا من أهل النّحو وصناعته وإنّما حملنا على ذلك شدّة حبّنا في أهل هذا الجناب وتعلّقنا بهؤلاء الأحباب ومن أقام لنفسه عذرا سقط عنه اللّوم" ...

من مقدمة كتاب جواهر المعاني وبلوغ الأماني

مقدمة

على مدى سنوات، اجتهد ثلّة من الإخوان والأحباب المنتسبين للطريقة التجانية بزاوية باب الخضراء تونس، بكتابة هذا التأليف استنادا لما تمّ تسجيله وجَمْعه ونقلُه من العامية إلى الفصحى، مِن مجالس ودروس ومسائل عرفانية، للمقدم البركة سيدي الحاج الحبيب بن حامد حفظه الله تعالى ورعاه، فأقرّهم على هذا الأمر وأذن فيه واجتهد في إصلاحه، والله من وراء القصد.

بسم الله الحمد لله والصلاة على رسول الله ﷺ

الخُصُوصِيَّةُ

البيان: إنّ الفقير الصّادق إذا كان في بلدٍ لا فقراءَ فيه، فإنّه يصيبه الضّجرُ

فقير: وسيدي محمّد الثمار رضي الله عنه بشّرنا بأنّ الشّيخ رضي الله عنه قد أعدّ لنا دارا في كلّ مكان

البيان: فعلا، فسيدي الحاج الثمار رضي الله عنه بشرنا بأن الشّيخ رضي الله عنه قد جعل لنا دارا في كلّ مكان، فأين ما ذهبتَ فإنك تجد الأحباب، وكأنّها دارك فعلا، وكان يقول رضي الله عنه وأرضاه: إذا سافرتَ إلى أي مكان فأوّل مكان تزوره هو الزّاوية، ولو لم تستطع فعلى الأقل زرها ولو أن تُدخِل قَدَمَكَ اليمنى ثم تخرج إن كنت على عجل في عملك أو بعض أمورك، فإنك هكذا كأنّما زرتَ الشّيخ رضي الله عنه فيها، فعليك بهذا الأمر فلا تتركها فإنّ الخصوصية فيها.

((كان ﷺ إذا كانت ليلة الجمعة قالَ: هذه ليلة غرّاء ويوم أزهر[1])) فقد ذَكَرْنا وصلّينا الجمعة وجئنا هنا ففرحنا وتحدّثنا عن ساداتنا ﷺ وتحدّثنا عن أهل الله وعن الصّفاء والمحبّة، سبحان الله، فالله هو الذي جمعنا، من كلّ مكان: صفاقس، تطاوين، النيجر، القصرين، الحمد لله.

السّارد: بسم الله الرّحمن الرّحيم وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما، قال شيخنا وسندنا سيدي الحاج الأحسن البعقيلي ﷺ ونفعنا به آمين في كتابه "الشرب الصافي من الكرم الكافي حاشية على جواهر المعاني" صفحة 214 طبعة درب غلف.

البيان: كلّكم لكم المعرفة بهذا، لكن نقرأ تبرّكا وزيادةً، فعندما نكون مجموعين تكون أنوار الشّيخ ﷺ

---

[1] **"كان ﷺ إذا دخل رجب قال: اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلّغنا رمضان وكان ﷺ إذا كانت ليلة الجمعة قال: هذه ليلة غراء ويوم أزهر))** البيهقي في "شعب الإيمان" عن أنس ابن مالك ﷺ

أقوى وأعلى، فكلّنا نعرف وكلّنا قرأنا ما كتب الله لنا أن نقرأ، لكن للزّيادة فقط، لأنّ من لم يقرأ ويرجع لكتب وأصول الطّريقة فإنه سيتأخّر ويرجع القهقرى دون أن يشعر، فالطّريقة علم وسرّ وعمل، فلابدّ من العمل ولابدّ من العلم، وسرّ الشّيخ ﷺ مبثوث فينا كلّنا ولله الحمد ولا فخر، كلّكم، ولابدّ للإنسان أن يتعلّم كي يسقِط الأوهام في هذه المسألة وتلك، فكلّها تُمحى، وتُوضع له طوابع جديدة من الشّيخ ﷺ وأرضاه كلّ يوم، وأما كلّ ما عندك فاجعله وراء ظهرك، واستمع لكلام الأكابر ﷺ، وكلنّا كلّ يوم هكذا، نلقي القديم وراء ظهورنا ونأتي بالجديد، لأنّ الشّيخ حيّ فينا ﷺ وأرضاه، فَسِرُّ سيّدي أحمد التّجاني ﷺ وأرضاه ونورُ اتِّبَاعه لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سرٌّ سارٍ في الأكوان كلّها كسريان الماء في الشّجرة، وهو أيضا متجدّدٌ بأنواره المُجدِّدَةِ، فَسِرُّهُ يسري في كلّ من اتبعه واقتدى به، فقد اقتدى واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن كلّنا معه، فلا تتعلّقْ بما عرفتَه البارحة وتجمُد عليه، بل

ابنِ عليه ولا تتوكّل على ما عرفته، وكن دائما في ازدياد، ((**إنَّ الذي تَطْلُبُ أمَامَكَ**))[2]، ﴿**وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى**﴾، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إِذَا أَتَى عَلَيَّ يَوْمٌ لَا أَزْدَادُ فِيهِ عِلْمًا، فَلَا بُورِكَ فِي طُلُوعِ شَمْسِ ذَلِكَ الْيَوْمِ**))[3].

السّارد: اعلم أنّنا سنّيون فلا تأثير لمخلوق بقوّة مُودَعَة فيه ولا بخاصيّة وإنّما الأشياء من حيث هي عوائد الله تعالى أجراها على أنّ **مَن أكل طعاما شبع بالله لا بالطّعام**، فمَن ذكره بنيّة التّحصين

البيان: لماذا يقول: نحن سنّيون؟، ليذكّرنا، فهو يعرف أنّنا سنيّون كلّنا، وكلمة "سنّيون" المراد منها أنّنا نعتقد أنّه لا تأثير لأيّ شيء أبدا، وهذه نقطة مهمّة جدا،

---

[2] البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

[3] رواه إسحاق بن راهويه في "المسند" (2/ 553)، والطبراني في "المعجم الأوسط" (6/ 367)، وابن عبد البر في "جامع بيان العلم" (1/ 259)، وغيرهم: عَنِ الحَكَمِ بن عبد اللَّهِ، عن الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ عَائِشَةَ،

لا تأثير لأيّ شيء إلاّ بالله، فالمؤثّر الحقيقي هو الله، لكن اتّخاذ الأسباب واجب علينا في كلّ شيء، ولهذا ذكرها سيدي الحاج الأحسن ﵁ وشدّد عليها، وسيدي أحمد التّجاني ﵁ وأرضاه لما أذن له ﷺ في هذه الطريقة الأحمدية، والسيرة المصطفوية النبوية، وفتح الله له على يديه ﷺ وأخبره أنّه هو مربّيه وكافله، وأنّه لا يصله شيء من الله إلاّ على يديه وبواسطته ﷺ، وقال له: "**لا مِنَّة لمخلوق عليك من أشياخ الطريق فأنا واسطتك ومُمِدّك على التحقيق فاترك عنك جميع ما أخذت من جميع الطرق**"[4]، فماذا أراد بقوله "**لا منّة لمخلوق عليك**"؟، أي حتّى الذِّكْرُ ليس له منّة علينا، أي أنّ الذِّكر في حدّ ذاته لا مزيّة له علينا، وهذه ليست إهانةً للذّكر، حاشى لله، فالذّكر هو منشور الولاية[5] وهو نور الله وهو ألسنة

---

[4] حرازم (عليّ) جواهر المعاني، الجزء الأول، في أخذ طريق رشده وهدايته ﵁

[5] سُئل الواسطي عن الذِّكر فقال: "**الذِّكر منشور الولاية، فمن وُفّق للذِّكر فقد أُعطى المنشور ومن سُلب الذِّكر فقد عُزل**".

الصالحين وألسنة الأنبياء إلى آخره، لكن لا منّة للذّكر علينا، إِنِ المنّة إلاّ لله ﷻ ثمّ لرسول الله ﷺ ثمّ لسيدي أحمد التّجاني ﷺ، ولذلك أخبر سيدي محمّد بن المشري ﷺ في كتابه (**الجامع لما افترق من العلوم الفائضة من بحار القطب المكتوم**) أن سيدنا ومولانا أحمد التجاني ﷺ قَالَ: "**يُعْطِي اللهُ لأَصْحَابِنَا ثَوَابَ كَذَا**"، فَقال لَهُ سيدي محمّد بن المشري ﷺ: "**ثَوَابَ الأَعْمَالِ أَوْ ثَوَابَ الْمَرْتَبَةِ؟**". **فَقَالَ له** ﷺ: "**ثَوَابَ الأَعْمَالِ وَالْمَرْتَبَةِ**"، **قال: "وَهَذَا الْفَضْلُ الْعَظِيمُ حَصَلَ لَهُمْ بِسَبَبِ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقْ أَوْ بِغَيْرِ ذَلِكَ"، فَسَكَتَ الشيخُ ﷺ هُنَيْهَةً**، والشيخ ﷺ عندما يَجِدُّ الجَدُّ فإنّه يتكلّم ولا يخشى في الله ﷻ لومة لائم، فلا يبقى مكان للخوف، ثُمَّ قَالَ: "**مِنْ أَجْلِنَا للهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ**"[6]. فكلّه

القشيري (أبو القاسم) الرسالة القشيرية، (بيروت، لبنان، طبعة دار الكتب العلمية) ص 256.

[6] بن المشري (محمّد): **الجامع لما افترق من درر العلوم، الفائضة من بحار القطب المكتوم** (طبعة دار الأمان، الرباط، المغرب) تحقيق الراضي كنون

من أجل سيّدي أحمد التّجاني ﷺ، فلا يُسلِكُ في الطّريقة ولا يُرقِّي، ولا يرتفع الإنسان ولا يذوق معاني المعرفة الربّانية الحقيقيّة إلاّ لمحبّته لسيّدي أحمد التّجاني ﷺ، ومحبّتك لسيّدي أحمد التّجاني ﷺ تكون بمحبّتك في الأحباب والمسلمين، إذ لا منّة لمخلوق عليك، وأما ما ذَكَرَ مِن مسألة الخواصّ والأذكار، فقد قال سيدي الحاج الأحسن ﷺ: لا منّة لها علينا، فنحن سنّيون، فإذا قال: اقرأ "**قل هو الله أحد**" بنيّة التّحصين مع المعوّذتين، نقرأها سُنّةً وشريعة، مع اعتقاد أنّ الفاعل هو الله ﷻ، لكن شريعةً وتبرّكًا بأنفاس رسول الله ﷺ نقرأها ثلاث مرّات وننفث بها، فهكذا فعل رسول الله ﷺ، فعن أم المؤمنين عائشة **أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا أوى إلى فراشِه كلَّ ليلةٍ، جمع كفَّيه ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ثم يمسحُ بهما ما استطاعَ من جسدِه، يبدأُ بهما على رأسِه**

ووجهِه، وما أقبل من جسدِه، يفعل ذلك ثلاثَ مراتٍ[7]، وكما هو حال سيّدنا عمر بن الخطّاب ﷺ فقد كان يُقَبِّلُ الحجَرَ الأسعدَ ويقولُ: "**إنِّي لأُقَبِّلُكَ وأعلَمُ أنَّكَ حجَرٌ لا تَنفَعُ ولا تَضُرُّ ولولا أنِّي رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يُقَبِّلُكَ لَم أُقَبِّلْكَ**"[8]، وهذه مسألة عظيمة لبعض الإخوان الّذين يغترّون بذكر الخواص من الأذكار ويحبّون انفعالاتها، فيذكر كذا كي يحصل له كذا وينفعل بكذا، وهذا ذوق غيرُ عالٍ في الطّريقة وفي المعرفة بالله تعالى وإن كان، إنّما هو ذوق غيرُ عالٍ لأنّ ذلك الشخص ربّما يتعلّق بذلك الأمر، فتصبح أنفاسه تعبدُ خاصية الذِّكر تُعوّل عليها خاصة إذا أعطي الإجابة، فهو في تضييع وقتٍ ثمينٍ مع الله تعالى، كأنه يعبد الذِّكر عوض أن يعبد المذكور، ولو أنّ الأذكار موجودة، لكن من تقيّد بعهد شيخ وبعهد مربٍّ ومن تقيّد في الطّريقة يريد الوصول الحقيقي فلابدّ له من أن يقصّر

---

[7] الراوي: عائشة أم المؤمنين المصدر: صحيح البخاري 5017

[8] الراوي: عبد الله بن سرجس - المصدر: مسند أحمد

همّته على قدوة من خلفاء الشّيخ ﵁ ومن أكابر أهل الطّريقة حتّى يضعه في حجر سيّدنا أحمد التّجاني ﵁، ولابدّ له من واسطة وقدوة، فإن لم يقصّر عليه الهمّة ولم يسلّم له ولم يَدَعْهُ ينظر فيه بمرآته الصّافية الصّادقة، أي بمرآة الصّلاح والصّدق، فلا يقدر الإنسان على الوصول، وقبل خروجه من هنا فسيقع في الخطإ، لأنها مسألة مشكَّلَة جدّا، إذ لابدّ للإنسان أن يكون له قدوة يسلّم له أمره ويطيعه ويتّبعه، فيعظّمه ويحبّه لوجه الله ﷻ فيوصله إلى الشّيخ ﵁ لوجه الله ﷻ كذلك، فلا يريد منه جزاءً ولا شكورًا، إلاّ أنه يفرح إذا ربح ذلك الفقير أقوى الرّبح، لوجه الله فقط، وأمّا إذا اعتقد في الخواصّ والأذكار والتّصريفات، وإن كانت موجودة، فهذه مرتبة دنيا، فاقرؤوا كتب الطّريقة وانظروا ماذا كتب عنها سيدي عمر الفوتي ﵁ في (**الرّماح**)، وما كتبه صاحب (**الجواهر**) من كلام الشيخ رضي الله عنه في ترك الأغراض مع الله وكذا ما كتبه السيد محمد بن أحمد الكنسوسي في جوابه المسكت

ص64: وَانْظُرْ إِلَى مَا نَقَلَهُ الشَّيْخُ سَيِّدِي عَبْدُ الوَهَّابِ الشَّعْرَانِي رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فِي كِتَابِ اليَوَاقِيتِ وَالجَوَاهِرِ، فِي المَبْحَثِ الخَمْسِينَ، فِي كَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ، وَنَصُّهُ : فَإِنْ قُلْتَ : فَهَلِ القَتْلُ بِالهِمَّةِ، وَالعَزْلُ وَالوِلَايَةُ، الَّذِي يَقَعُ مِنْ بَعْضِ الأَوْلِيَاءِ كَمَالٌ فِيهِمْ أَوْ نَقْصٌ؟

فَالجَوَابُ : هُوَ نَقْصٌ بِالنِّسْبَةِ لِمَا فَوْقَهُ مِنَ المَقَامَاتِ، وَقَدْ أُعْطِيَ الشَّيْخُ أَبُو السُّعُودِ بْن الشّبْلِي التَّصَرُّفَ فِي الوُجُودِ فَتَرَكَهُ وَقَالَ : نَحْنُ قَوْمٌ تَرَكْنَا الحَقَّ يتَصَرَّفُ لَنَا، فَكَانَ أَكْمَلَ مِنَ الشَّيْخِ عَبْدِ القَادِرِ الجِيلاَنِي مَعَ أَنَّهُ تِلْمِيذُهُ، هَكَذَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ فِي البَابِ 192 مِنَ الفُتُوحَاتِ.

وَأَيْضاً فَإِنَّ العَارِفَ الكَامِلَ لَا يَجِدُ فِي الكَوْنِ شَيْئاً حَقِيراً يُرْسِلُ تَصْرِيفَهُ عَلَيْهِ، وَيُنْفِذُ هِمَّتَهُ فِيهِ. وَمِنْ شَرْطِ نُفُوذِ الهِمَّةِ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَقِيرٍ فَيَرَى صَاحِبُ الحَالِ نَفْسَهُ كَبِيراً وَغَيْرَهُ حَقِيراً، فَيَجْمَعُ حَقَارَتَهُ فِي قَلْبِهِ ثُمَّ يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ فَيُؤَثِّرُ فِيهِ. قَالَ : وَسَمِعْتُ شَيْخَنَا سَيِّدِي عَلِيّاً الخَوَاصَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : الكَامِلُ مِنَ الأَوْلِيَاءِ هُوَ مَنْ مَاتَ عَلَى التَّصْرِيفِ وَالتَّدْبِيرِ اكْتِفَاءً بِفِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ.

وانظر كتاب (كشف الغشاء عن التصرف بالهمة والأسماء) من منشورات زاوية باب الخضراء تونس.

وكذلك في الدرّة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة لسيدي مْحَمَّد "بالفتح" بن عبد الواحد النظيفي ﷺ وكُتُب سيدي الحاج الأحسن ﷺ كالإراءة ...

فقير: في الإراءة نهى عن الذّكر والعبادة بالخاصيّة، فمن يتبّعها أي لذاتها فليس من الطّريقة في شيء.

البيان: قال شيخنا الختم سيدي أحمد بن مْحمد الحسني التجاني ﷺ وأرضاه: "**وَأَمَّا مَا جَاءَ مِنَ الأَذْكَارِ وَالعِبَادَاتِ لِسَعَةِ الرِّزْقِ وَدَفْعِ الضَّرَرِ، وَهَلَاكِ الظَّالِمِ وَدَفْعِ الفَقْرِ وَقَضَاءِ الحَوَائِجِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فَمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ مِنْ جَلْبِ رِزْقٍ، وَدَفْعِ فَقْرٍ وَقَضَاءِ حَاجَةٍ مَطْلُوباً لِذَاتِهِ بِذَلِكَ الذِّكْرِ أَوْ العِبَادَةِ، فَهُوَ شِرْكُ الأَغْرَاضِ وَهُوَ**

حَرَامٌ بِالْإِجْمَاعِ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ المَطْلُوبُ لِيُعِينَ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَا يَخْلُوا مِنْ أَمْرَيْنِ أَيْضاً إِمَّا أَنْ ذَلِكَ الذِّكْرِ الخَاصُّ أَوْ العِبَادَةِ الخَاصَّةِ مُجَرَّدَ غَرَضِهِ مِنْ سَعَةِ الرِّزْقِ يَكُونَ قَصْدُهُ فِي وَغَيْرِهِ عَنْ قَصْدِ وَجْهِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ بِالذِّكْرِ وَالعِبَادَةِ، فَذَلِكَ مِنْ شِرْكِ الْأَغْرَاضِ أَيْضاً وَهُوَ حَرَامٌ، وَإِنْ قَصَدَ بِالذِّكْرِ وَالعِبَادَةِ وَجْهَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجَا مَعَ ذَلِكَ قَضَاءَ غَرَضِهِ، لِيَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَلِيَدْعُوا عَقِبَ عِبَادَتِهِ اللَّهَ بِقَضَاءِ حَاجَتِهِ، فَهُوَ جَائِزٌ وَلَا حَرَجَ فِيهِ، لَكِنْ بَعْدَ اعْتِقَادِ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الفَاعِلُ بِاخْتِيَارِهِ لَا بِذَلِكَ الذِّكْرِ، بَلْ عِنْدَهُ لَا بِهِ، وَطَلَبَ بِالذِّكْرِ وَجْهَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّ الأَذْكَارَ وَالعِبَادَاتِ لَا تَأْثِيرَ لَهَا، وَخَوَاصُّهَا مِنَ الثَّوَابِ هُنَا وَهُنَاكَ، وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الفَاعِلُ عِنْدَهَا، بِمَحْضِ اخْتِيَارِهِ لَا لِعِلَّةٍ فَهَذَا وَجْهُ صِحَّتِهِ وَكُلُّ هَذَا تَكْتَنِفُهُ الأَدِلَّةُ النَّقْلِيَّةُ وَاللَّهُ المُوَفِّقُ.ا.هـ[9] وقال ﷺ:

---

[9] حرازم (عليّ): جواهر المعاني ج2ص591 تحقيق وتصحيح محمد راضي كنون دار الرشاد الحديثة -الدار البيضاء-المغرب. (الباب الخامس/ الفصل الثالث: في إشاراته الوَلوية وحلّ مشكلاته بعبارة وهبية.

"نَهَانِي ﷺ عَنِ التَّوَجُّهِ بِالأَسْمَاءِ وَأَمَرَنِي بِالتَّوَجُّهِ بِصَلاَةِ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ"[10]، لماذا؟ لأنّ فيها كلّ الخيرات، فقلب الفقير لا يتعلّق بخواص الأذكار ولا بخواصّ الأسماء ولا بخواصّ التّصريفات، وإنّما يكون عبدا لله ﷻ، فيختار العبوديّة ويعبد ربّه حتّى يأتيه اليقين وهو الموت وليس الفتح، لأنّ كلّ فقير تجاني ما وضع يده في يدي مقدَّم موصول العهد إلاّ وفتح الله عليه الفتح الأكبر، فذلك هو عين الفتح الأكبر، وليس هنالك فتح أكبر آخر، وذلك هو الوصول التّام، فيضعك الشّيخ رضي الله عنه وأرضاه في المرتبة التّاسعة، ويخفيك عن نفسك ويضعك تحت جناحه فتكمل بقيّة حياتك تأكل وتشرب، مع فرح في قلبك لا تعرف ما هو ولا ما هي المعرفة بالله، ولو فُصِّلت لك لدُهشتَ، فهي تظهر وكأنّها بسيطة وهي في الحقيقة معقّدة جدا، وبالتالي فالعمل بالخاصيّة ليس من عمل أهل

[10] السفياني (محمد الطيب): الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية (طبعة المطبعة الخيرية بالقاهرة، مصر) - الحديث رقم 195

السنّة، وإن وُجِد وإن كان، فالمشائخ الكبار يقولون: إن صرَّفنا الله تصرَّفنا وإن لا فلا، فنحبّ أن نكون عبادًا لله تعالى، فالّذي لا يتصرّف أعلى من الّذي يتصرّف، "**نَحْنُ قَوْمٌ تَرَكْنَا اللهَ يَتَصَرَّفُ لَنَا**"[11]، وهو ذوق آخر في الطريق

---

[11] الكنسوسي (محمد أحمد) **الجواب المُسكت في الردّ على من تكلم في طريق الإمام التجاني بلا تثبّت** وفيه "وانظر إلى ما نقله الشيخ سيدي عبد الوهاب الشعراني ﷺ في كتاب (**اليو اقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر**)، في المبحث الخامس، في كرامات الأولياء، ونصّه: فإن قلتَ: فهل القتل بالهمة، والعزل والولاية، الذي يقع من بعض الأولياء، كمالٌ فيهم أو نقصٌ؟ فالجوابُ: هو نقصٌ بالنسبة لما فوقه من المقامات، وقد أُعطِيَ الشيخ أبو السعود بن الشبلي التصرف في الوجود فتركه وقال: "**نحن قوم تركنا الحق يتصرف لنا**"، فكان أكملَ من الشيخ عبد القادر الجيلاني مع أنه تلميذه، هكذا ذكره الشيخ في الباب 192 من الفتوحات. وأيضا فإن العارف الكامل لا يجد في الكون شيئا حقيرا يرسل تصريفه عليه، وينفذ همته فيه. ومِنْ شرط نفوذ الهمة أن يكون على حقير فيرى صاحب الحال نفسه كبيرا، وغيره حقيرا فيجمع حقارته في قلبه ثم يتوجه إليه فيؤثر فيه. قال: وسمعت شيخنا سيدي عليّا الخوّاص ﷺ يقول: "**الكامل من الأولياء هو من مات على التصريف والتدبير اكتفاء بفعل الله تعالى له**".

عالٍ جدّا، فلابدّ للإنسان أنّ يحقّق المناط ويترك التّصريف لأهل التّصريف، وهم من أعطاهم الله ذلك بإذن صحيح، فالله يعينهم على ما هم فيه ونحن لا دخل لنا في هذه الأشياء، نحن عباد من عباد الله تعالى.

قال ﷺ في تبصرة الأرواح والأسرار إلى العكوف على دوام مشاهدة نور الأنوار: فالعارف يفرح إن وجد سُورَ الأقدار مضروبة على الأمر الذي أراده فإن قال كن فكان فرح مرّة وإن لم يكن، فرح عشرا لتحقّقه بمعرفة ربّه فالله ينقض العزائم "وما هم بضارّين به من أحد إلاّ بإذن الله" ...

وهناك قول يُنسب إلى الإمام عبد الوهاب الشعراني في سياق محادثاته الروحية مع الحق سبحانه وتعالى، وهو من النقولات المشهورة التي تعبر عن مقام الفناء في الذات الإلهية عند الصوفية: وهي "لو أعطيتك كل ما في الكون من الأسماء والصفات والمكونات وغيرها، ما كان ذلك عندي بشيء."

فقير: الأوراد الخاصة لها مفهوم موازٍ للورد المعلوم ولها خواص وفيها إذن خاص ولا يستفيد منها كلّ الناس، وسندنا سيّدي محمّد أحمد الكنسوسي ﵁ حين ذكر في (الجواب المسكت) أن "**الكامل من الأولياء هو من مات على التصريف والتدبير اكتفاءً بفعل الله تعالى له**" ذكر هذا مع أنه قطب ...

البيان: فهو يرى كلّ النّاس عالين، وأمّا الأذكار غير اللاّزمة فهي أذكار عظيمة وهي أذكار موجودة في الطّريقة وموجودة عند أهل الله وتصلح للفقراء الّذين لا ينوون بها غرضا مع الله تعالى، إنّما ينوون بها العبوديّة وطاعة الله سبحانه والوصول إلى حضرة صفاته وأسمائه، ويكون من الأفضل أن يعطيها المقدّم دون طلب من الفقير، أمّا إذا وجدها الفقير في كتاب من الكتب فيتّخذها وِرْدًا دون إذن، فمسكينٌ هو، إذ يتبدّل حاله وتتغيّر أحواله وربما بعد وقتٍ يفقِدُ صوابه.

فقير: من كان مأذونا في أوراد خاصّة مثل الأذكار العالية فلا يخرجها إلاّ مرة بعد مدّة طويلة، كي لا تظلّ مخزونة عنده مثل المصحف المسجون في الدار، تجعله في دارك ولا تقرأ منه، فهو كالسّجين[12]، فالمأذون يقرأ هذه الأذكار مرّة بعد مدّة وكأنّه للتبرّك لا غير ...

البيان: بالفعل، وهذا مزلق كبير، وكلّكم تعرفون ذلك، وهو أنّ الإنسان لابدّ أن يأخذ حذره من الذّكر بالخاصيّة، فلا يسعى وراء الأذكار والخواصّ والأسرار، لأنّ سرّ الله ﷻ موضوعٌ فيكَ أصلاً، فتَذَوَّقْهُ، واعلَمْ أنّك موصول العهد بهذه الطّريقة التّجانية، وعليك بصلاة الفاتح لما أغلق وعليك بالعلم وعليك بالتفقّه في الدين وهذا هو المفيد، ثمّ القلب يكون خاليا من جميع الأغراض مع الله تعالى، فأنت واصل، فاعتقد واعلم أنّك واصلٌ وذلك يكفيك، ولتعلم ((**أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ**،

---

[12] ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ الفرقان 30

وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ))[13] فما كان أصابك في الأزل لم يكن ليخطئك، فالسّابق في علم الله تعالى آتيك آتيك، فأرِح بالك، دخل علي بن أبي طالب ﷺ المسجد وقال لرجل كان واقفا على باب المسجد: أمسك عليّ بغلتي، فأخذ الرجل لجامها ومضى وترك البغلة، فخرج عليّ ﷺ وفي يده درهمان ليكافئ بها الرجل على إمساكه بغلته فوجد البغلة واقفة بغير لجام فركبها ومضى ودفع لغلامه درهمين يشتري بهما لجاما فوجد الغلام اللجام في السوق قد باعه السارق بدرهمين فقال علي ﷺ: **إن العبد ليَحْرِم**

---

[13] قال ﷺ: ((**لو أن الله عذّب أهل سماواته وأهل أرضه لعذّبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرٌ من أعمالهم، ولو أنفقتَ مثل أُحُدٍ ذهبًا في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولو مِتّ على غير هذا لدخلت النار**)) أحمد في مسنده وأبو داود في سننه وابن ماجه في سننه وابن حبان في صحيحه والطبراني في المعجم الكبير عن أبي بن كعب وزيد بن ثابت وحذيفة بن اليمان وعبد الله ابن مسعود ﷺ

نفسه الرزقَ الحلال بتركِ الصبر، ولا يزدادُ[14]. وقال صلى الله عليه وسلم: ((**إنّ الرَّجُلَ ليُحْرَمُ الرِّزْقَ بالذَّنْبِ يُصِيبُهُ ولا يَرُدُّ القَدَرَ إلاّ الدعاءُ ولا يَزِيدُ في العُمُرِ إلاّ البِرُّ**)) ولذا وجب على الإنسان أن يتّبع "**أَسْلِمْ تَسْلَمْ**" فيُسَلِّمُ ويَرْتَاحُ ...

السّارد: فمن ذكره بنيّة التّحصين كان علامة على أنّ الله يحصّنه بقدرته لا أنّ الحزب هو الّذي يحصّن، فإنه مخلوق ولو باعتبار لفظ القارئ فمعناه أنّ الإنسان يقرأه لله من غير غرض فيه ولا به إلاّ وجه الله ويرجو من فضل الله أن يحصّنه بقدرته بعد تمام الذّكر فهذا أدنى ما عند العارفين في عبادة ربّهم **فلا بأس به** وقولهم لا بأس بمعنى خلافَ الأَوْلَى عند الأقوياء ...

البيان: فالأَوْلَى تركه، وهو أن تذكره بنيّة التّحصين أي أن تطلب من الله ﷻ أن يحصّنك بذلك التسبّب لا

[14] الأبشيهي (شهاب الدين أحمد): المستطرف في كل فن مستظرف: الباب العاشر في التوكل على الله تعالى والرضا بما قسم والقناعة وذم الحرص والطمع وما أشبه ذلك

بأصل الكلام، فإنّما الكلام مخلوق، على الأقلّ باعتبار أنّك تذكره الآن، ولذا قال: وهذا أقلّ ما عندنا في الطّريقة، فاسمع أصحاب الشّيخ رضي الله عنه وهذه النيّات العظيمة جدّا ...

فقير: كالرّزق مثلا فإذا توكّلت على السّبب فقد كفرت

البيان: فالتوكّل على الأسباب كفرٌ، وتركُ الأسباب معصيةٌ والأخذ بها سنّة، فنعمل بالأسباب ظاهرا والقلب يكون مسلّما أَمْرَهُ إلى الله تعالى ...

السّارد: فاعلم هنا أنّ السبب الحامل على الذّكر مثلا إن كان لمجرّد غرض نفسه مع قطع النّظر عن العبادة، بحيث لو علم أنه لا تقضى حاجته به لتركه فهذا شرك صراح عند العارفين أو كفر وإن نوى حاجته به معه وبعده مع وجه الله فهو شرك وإن نوى وجه الله ويرجو من فضل الله حاجتَهُ عند تمامه لا به ولا بخاصيته فهذا مضطرَبٌ فيه والحقّ أنه يثاب لكن تركه أفضل وللضرورة

أحكام تخصّها، فمثله عندنا كرخصة أهل الضّرورات ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ**﴾[15]، فمذهب ضعفاء الطّريقة الإباحة فيه وهو قوله **للتحصين** والأقوياء يمتنعون من مثله وهو مذهبنا فإنّنا راضون بالله ربًّا...

البيان: المقصود ﴿**وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ**﴾[16]، فعوّل على الفضل الإلهي ولا تعوّل على العمل، واعمل بنيّة الامتثال والطاعة لله تعالى، والله هو الفاعل ﷻ، وهذه مرتبة عظيمة وقويّة في المعرفة والعبوديّة، كما كان ﷺ وكما كان الصحابة ﭫ، وكما هو عليه تربية الشّيخ ﭬ وأرضاه ...

---

[15] البقرة: الآية 173

[16] النساء: الآية 32

فقير: تجده عمره كاملا وهو في عبادة ربّه وإن تسأله عن حاله معه، يقول لك لو يسامحني ويغفر لي لكنت ممتنّا ...

البيان: وهذا هو الأصل، وهذا هو الحقّ، لماذا؟، لأنّه قد عظُمت معرفته بربّه ﷻ، فعَرَفَ مِن الله ﷻ ما لم يعرفه غيره، فلا مكان للرّاحة، والنّاس يظلّون باهتين في الرّسول ﷺ فيقولون له أرح نفسك، وهو لا يحسّ بهم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((**لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ، قَالَ رَجُلٌ: وَلَا إِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: وَلَا إِيَّايَ إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَلَكِنْ سَدِّدُوا**))[17]، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ مثل كلّ النّاس، فهكذا العبودية، وذلك لقوّة معرفته في الله ﷻ

[17] صحيح مسلم» كتاب صفة القيامة والجنة والنار» باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى

السّارد: فإننا راضون بالله ربّا وبالإسلام دينا ونحب تصرّفات الله فينا ...

البيان: نحبّ تصرّفات الله فينا، وهذا هو الرّضا، فرَحٌ بكلّ ما كان من الله ﷻ، فما أحلى العبودية ... وقد روى سيدي محمد قمار ﷺ أن الشيخ البعقيلي ﷺ كان دائم الفرح والابتسامة، يضحك دائما، وفي خمسة سنوات لم أره غضب إلا مرتين ...

السّارد: واسألوا الله من فضله يعني من حيث هو فضله لا بأعمالكم فتوسّل أهل الغار بالأعمال الصّالحات ضرورة عند الأكابر ...

البيان: حديث الثلاثة الذين انسدّ عليهم مدخل الغار معلوم لدى الجميع[1]، وسيدي الحاج الأحسن ﷺ قال: إنما فعلوا ذلك ضرورة فقط، مع أنّ الغار انسدّ حتّى

كادوا يموتون، فقال: اعملوا الأسباب وتوسّلوا بها تسبّبا فقط[18] ...

السّارد: قال الشّيخ ﵁ نهيتُ أن أتوجّه بالأسماء وأُمرت أن أتوجه بصلاة الفاتح لما أغلق[19]

البيان: هذه كلمة عظيمة، نُهيتُ أن أتوجّه بالأسماء وأمرت أن أتوجه بصلاة الفاتح لما أغلق

السّارد: قال ﵁ نهيتُ أن أتوجّه بالأسماء وأمرت أن أتوجه بصلاة الفاتح لما أغلق، فعن لسانه وخلفائه المستسلمين لله تكلّمتُ ...

البيان: المراد بكلمة "عن لسانه" أنّه يتكلّم بإذن الشّيخ ﵁، وهو ﵁ ممّن يتقابلون مع الشّيخ يقظة،

---

[18] انظر من كناش سيدي محمد قمار رضي الله عنه: عن سيدي الأحسن رضي الله عنه حمله الوادي فاستحيى أن يتصرف حتى جاءه صغار الأولياء وحملوه على حصير

[19] انظر الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية لسيدي الطيب السفياني رضي الله عنه

وسيدي الحاج الأحسن ﷺ معروف في هذا الباب، وقال: أنا أترجم لك ماذا قال لي الشيخ ﷺ، فحتّى الخلفاء الأكابر لا يتصرّفون إلاّ بإذن الشّيخ ﷺ، فاعمل نيّة صالحة تُفْتَحْ لك جميع الأبواب. قال الشيخ البعقيلي ﷺ في الإراءة: "**وكان** ﷺ (أي سيدي أحمد التجاني) **يحبّ الوقوف على الراجح في مذهبه رضي الله عنه لصحة أذواقه ودِقَّة مداركه ولبنائه مذهبه على الاحتياط واتّباع السنّة والسلف الصالح رضي الله عنهم ولأجله نقّحتُ**[20] **للشارب منه أرْجَحَهُ وأشْهَرَهُ وأظْهَرَهُ فكلُّ ما بيّنتُهُ فهو محبوب الشيخ فيه** ﷺ **وأنا لك لله الحمد لسانُهُ وتُرْجمانُهُ فكثرة الأقوال تشويشٌ وإن كانت أقوال العلماء قولاً واحدًا لكن بحسب المراتب الثَّوابِيَّةِ** "

السّارد: قوله "ومن أرادها" الضمير راجع إلى الخواصّ والفضائل المدوّنة **قبل الشّيخ** فهو إحالة

[20] انظر كتابه الزلال الأصفى واللباب المحض الأوفى على الراجح من مذهب مالك طبعة درب غلف عام 1934م (الموافق 1353هـ)

لمطالعة الخواصّ على وجه التبحّر لا أنه دلّك على الخواص في عبادة ربّك...

البيان: أي من أراد أن يتغلغل في العلوم تغلغلا وتبحّرا فله ذلك، أمّا نحن ضعفاء الفقراء فلا نزيد كلمة واحدة بعد كلام الشّيخ سيدي أحمد التّجاني ﷺ، حتّى كُتُب التصوّف، لا تصلُح قراءتها إلا للمتبحر المتغلغل، وأما نحن ضعفاء الفقراء فقد تضر بِنِيَّاتِنا وفهومنا، لماذا؟ لأنّ الكلام يشبه بعضه بعضا ولكن الذوق بعيد ومختلف كل الاختلاف فهو ذوق، فإذا انْفَلَتَ منك ذَوْقُ الشّيخ ﷺ فلن تُمَيّز الغثّ من السّمين، فكلّ الكلام يشبه بعضه البعض، ولا تكون التربية إلا على يد واحد، وقد قال صلى الله عليه وسلم للشيخ: **مسألة أهملها الشيوخ كل من أخذ عن ولي وزار غيره لا ينتفع بالأول ولا بالثاني**، وأما الإنسان إذا مشى بفكره هو فإنّه يَضِلُّ عن طريق الصّواب، ولذا قال سيدي الحاج الأحسن البعقيلي ﷺ في كتابه "غنية الأحباب فيما وجب على الأصحاب": **كتب إليّ**

العارف الكبير المولى الحاج الحسين الإفراني ﵁: لا تتشوّف إلى ما كان عليه السلف الصالح ﵃ ولا تضيّق على نفسك فإنّهم قد أعانهم زمانهم على ذلك وجاء زمان آخر وله حكم آخر وقد تمسّكت يداك ولله الحمد بالسعادة الأبدية وهي عهد سيدنا ﵁ يكفيك وقد يقطع بمحبّته لحظة واحدة ما لا يقطعه بالأعمار الطوال والسلام. ا.هـ فهذا زمان الشّيخ سيدي أحمد التّجاني ﵁ وأرضاه، فالله ﷻ يجازيهم بالخير، ونعظّمهم ونحبّهم وانتهى الأمر، وأمّا الآن فهذا زمان الشّيخ سيدي أحمد التّجاني ﵁ إلى قيام الساعة، فلا تُدخِل أيّ ذوقٍ مع ذوق الشّيخ ﵁ لأنّه لا يحبّ ذلك، فكأنّك تتأخّر بنا إلى الوراء، فالشّيخ ﵁ قال: تقدّم، فتقدّم، فهو وضعك مباشرة في العين وأنت تحب أن تمارس الرياضات، وليس لنا رياضة في طريقتنا، إذ ليس لنا إلاّ الورد والوظيفة والهيللة وأن نحبّ بعضنا البعض، فجميع أصحاب الشّيخ ﵁ وجميع الخلفاء في الطّريقة هذا كلامهم، إلاّ لمن لم يقرأ كتب

الطّريقة أو من كان من أصحاب الأحوال الخاصّة فأولئك لا يُقاس عليهم، ففي الطّريقة مربّون معروفون، أهل التربية والإرشاد الّذين عيّنهم سيدي أحمد التّجاني ﷺ بنفسه، وأمّا غيرهم فلا يقاس عليهم وإن كنّا نحبهم ونعظّمهم جميعا، ولكن لا نتّبعهم بل نتبّع الصّحيح من أمور طريقتنا.

---

[i] قال ﷺ: ((بينما ثلاثة نفر يمشون أخذهم المطر فآووا إلى غار في جبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالا عملتموها صالحة لله فادعوا بها لعله يفرجها عنكم; فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران وامرأتي ولي صبية صغار أرعى عليهم فإذا أرحت عليهم حلبت فبدأت بوالدي فسقيتهما قبل بني وإني نأى بي ذات يوم الشجر فلم آت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أسقى

الصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قدمي فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء، ففرج الله منها فرجة فرأوا منها السماء؛ وقال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء وطلبت إليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار فتعبت حتى جمعت مائة دينار فجئتها بها فلما وقعت بين رجليها قالت: يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه فقمت عنها فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة ففرج لهم فرجة; وقال الآخر: اللهم إني كنت استأجرت أجيرا بفرق أرز فلما قضى عمله قال لي: أعطني حقي فعرضت عليه فرقه فرغب عنه فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرا ورعاءها فجاءني فقال: اتق الله ولا تظلمني حقي قلت: اذهب إلى تلك البقر ورعائها فخذها فقال: اتق الله ولا تستهزئ بي فقلت: إني لا أستهزئ بك خذ ذلك البقر ورعاءها فأخذه وذهب به، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج ما بقي ففرج الله ما بقي)). البخاري ومسلم عن ابن عمر ﷺ